ISSN: 3105-1073 (OnIine)
Journal of Al-Itqan for Human Sciences
available online at
https://iraqiqsa.org/Journal/index.php/AIJHS/index
مجلة الاتقان للعلوم الإنسانية تصدرها جمعية علوم القران العراقية

منهج الذوق المكاشفة عند المتكلمين

د. سارة جبير أحمد

ديوان الوقف السني

manhaj aldhawq almukashafat eind almutakalimin

Sarah Jubaeir Ahmed
Sarah Jubaeir@imamaladham.edu.iq

Abstract
In this research "The Method of Taste and Revelation Among the Theologians," I demonstrated that this method played a significant role in managing state affairs during the Ottoman era. It reflects their deep integration into society at all levels religious, political, and popular. Sufism was not an outsider to public life, it served as the fundamental nucleus around which the community wove its belonging, values, and identity. This explains the sultans' involvement with Sufi orders and lodges and their closeness to their leaders, as well as their participation with the Ottoman army in its conquests. They took on the responsibility of spreading the Islamic message to various regions to raise the banner of Islam and reinforce the foundations of faith.
Keywords: Method - Taste - Revelation - Theologians .

الملخص

في هذا البحث المتواضع والموسوم:(منهج الذوق المكاشفة عند المتكلمين) بينت أنَّ لهذا المنهج دور في إدارة شئون الدّولة في العهد العثماني، وهو ما ترجم انصهارهم العميق في المجتمع بجميع مستوياته، سواء الدّيني، أو السّياسي أو الشّعبوي، إذ لم يكن التصوّف دخيلا على الحياة العامّة، بل يعد النّواة الأساسية الّتي نسج حولها المجتمع انتماءه وقيمه وهويته، وهو ما فسّر التفاف السّلاطين بالطّرق الصّوفية والتّكايا، وقربهم من شيوخها، فضلا عن اشتراكهم مع الجيش العثماني في فتوحاته، وحملوا على عاتقهم مهمة تبليغ الدّعوة الإسلامية إلى مختلف الأصقاع، من أجل رفع راية الإسلام وتثبيت دعائم العقيدة.**الكلمات المفتاحية :منهج– الذوق– المكاشفة – المتكلمين.**

المقدمة

الحمد لله ذي المعارج، والصّلاة والسّلام على من جاء بخير المناهج، وعلى آله وصحبه أولي الصدق والمباهج، وبعد:

ففي هذا البحث المتواضع نهدف الى بيان أن التصوف مصدراً للمعرفة يعبر عن نتائج يمكن لها أن تساعد البشرية في ادراك الحقيقة، وأنه يصل العبد بخالقه وفهم الوجود والانسان، وبالتالي يمكنه أن يقدم منهجا مختلفا للوصول للمعرفة ويساهم في الحوار بين المناهج، ونقد التطرف الديني.

فهذا تقرير عن منهجٍ من مناهج المتكلمين، ألا وهو منهج الذوق والمكاشفة، وفيه: تعريف بمنهج الذوق والمكاشفة، وحقيقته وأصوله، وهل أنّ حقائقه قاطعة؟، والايجابيات، والمؤاخذات.

المطلب الأول التعريف بمنهج الذوق والمكاشفة:

الكشف لغة: رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر: إذا أظهره[١].

واصطلاحا: الاطلاع على ما وراء لحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا[٢].

وعرّفها الغزالي بقوله: نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته وبأفعاله وبحكمة خلق الدنيا والآخرة[٣].

وعرّفها أيضا بقوله: هي ما يظهر للعارف من المعاني والحقائق الغيبية المفاضة على قلبه أثناء سلوكه العملي[٤].

المطلب الثاني أصول وحقيقة منهج الذوق والمكاشفة:

يرجع أصول وحقيقة المنهج الذوقي والمكاشفة في القرن الأول الهجري؛ وذلك لعدةِ أسباب منها:

١- ظهور بعض الفتن الداخلية، وإراقة الدماء بين المسلمين وقيام الفِرق والشيع، كل ذلك شجع على الاعتزال من البعض.

٢- اتساع الفتوحات الإسلامية، وشيوع الترف بين بعض المسلمين، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة.

---

[١]() ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، (٩/ ٣٠٠)، مادة: (كشف).

[٢]() التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص١٨٤).

[٣]() ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت، دون طبعة، (١/ ١٩).

[٤]() ينظر: إحياء علوم الدين، (١٩/١).

٣- انتشار نزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات حتى شاع لقب العُبَّاد والزُهَّاد والقُرَّاء في تلك الفترة.

وغير ذلك من الأسباب، وأصل هذا المنهج قائم على سلوك الطرق المؤدية الى تصفية الباطن واستكمال الظاهر، بغية الفناء في الوصول الى مرحلة الحبّ الالهي عن طريق الكشف والوجدان[١].

المطلب الثالث من يمثل منهج الذوق والمكاشفة، ومراحل تطوره:

المنهج الذوقي والمكاشفة يمثله مدرسة التصوف الذي ظهر عن القرن الأول على يد بعض التابعين كالحسن البصري وحبيب العجمي وغيرهما، ثم بدأ بالانتشار بقوة في القرن الثالث والرابع إلى أن وصل ذروته في القرن السادس على يد مجموعة من شيوخ هذا المنهج وهم:

١- مدرسة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ): وتسمى مدرسة الكشف والمعرفة: وهي تقوم على اعتبار أن المنطق العقلي وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات، إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تتكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب، وقد انطلق المشروع التجديدي للغزالي في تشخيص واقع عصره، لتمييز بعض المنتسبين والدخلاء على المنهج الذوقي والمكاشفة، فنبّه إلى الانحرافات التي سقط فيها كثير من هؤلاء كالغرور والجهل والشطح والقول بالاتحاد والتفريق بين الحقيقة والشريعة، فيقول: وأما الشطح الذي أحدثها بعض الصوفية في دعوى العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: "أنا الحق"، وبما حُكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: "سبحاني سبحاني" فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره"[٢].

٢- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني (المتوفى: ٥٦١هـ): ويمكن اعتبار تجربته التجديدية ردّ فعل طبيعي على الواقع السياسي والديني الذي عايشه، ولعل ذلك ما يبرر الانتقادات الشديدة التي وجهها لعلماء وحكام عصره، وقد بسط مشروعه التصحيحي على أساس العودة بالتصوف إلى مصادره الأصيلة، ممثلة في الكتاب والسنّة، ومحاربة الفكرة الداعية

---

[١] () ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ، (١/ ٢٤٩).

[٢] () ينظر: إحياء علوم الدين، (١/ ٣٦)

إلى فصل الشريعة عن الحقيقة، ومنهجه فيه إبعاد التصوف عن الطروحات الفلسفية المضللة، والتأكيد على أهمية شيخ التربية في تكوين المريدين[١].

٣- مدرسة محيي الدين ابن عربي (المتوفى: ٥٧٨هـ) الذي دون أصول العرفان النظري وبيان مقامات العارفين في كتابيه: "فصوص الحكم"، "والفتوحات المكية" وقد أشار ابن عربي إلى أنّ هذا المنهج هو مصدر المعرفة بقوله: إنّ العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن ومن لا كشف له لا علم له"[٢][٣].

المطلب الرابع هل تعد حقائق المنهج الذوقي والكاشفة قاطعة؟

لا شك في امكان وجود هذه المنهج كأداة معرفية، ولكن من المعلوم أنّ الدليل سبيل العقل فلا بد من الحجة على المدعيات، والا اختلطت المقاييس وضاعت الموازين. والطريق المذكور طريق ذوقي ذاتي لا صناعي لان صناعية الطريق تكمن في اثبات حجيته وكونه قابلا للتعميم والنقل الى الغير، والحال أنّ الإلهامات والاشراقات لا تتعدى قلب صاحبها لمؤهلاتٍ فيه خاصة جدا ونفسية من الصعب استجماعها لكل أحد فكان من الصعب الممتنع نقلها لكل أحد[٤].

والشيء الآخر الذي يواجه هذا المنهج كون معارفه باطنية مجهولة المنشأ حتى على صاحبها الذي يشاهدها، وبالتالي لا يمكن التعويل عليها بنحوٍ مستقل. فإنّ طريق السلوك والرياضة متفق عليه بين الحكماء، ولكنهم يعتبرونه طريقا اعداديا لتصفية النفس وتحصيل المعرفة، ولا يعد مغنيا عن التفكير والكسب لذلك تجد أكثر الحكماء قد كتبوا كتبا أخلاقية سطروها بأقلامهم بل منهم من كتب في مقامات العرفاء وأحوال السالكين والأولياء كابن سينا وغيره[٥].

المطلب الخامس مصادر تلقي منهج الذوق والمكاشفة:

---

[١] () ينظر: الفتح الربّاني والفيض الرحماني، عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية بيروت، دون طبعة، (ص٣٥).

[٢] () ينظر: الفتوحات المكية، محيي الدين ابن عربي (المتوفى: ٥٧٨هـ)، تحقيق: د. عثمان يحيى، دار الكتب العلمية – لبنان، ٢٠٠٦م، (١/ ٢١٨).

[٣] () ينظر: مناهج التفكير، فلاح العابدي، وسعد البخاتي، أكاديمية الحكمة العقلية، الطبعة: الأولى، قم، ٢٠١١م، (ص٨١).

[٤] () ينظر: مناهج التفكير، (ص٥٣).

[٥] () ينظر: المصدر نفسه، (ص٥٤).

لا شك أنّ هذا المنهج كباقي المناهج الاسلامية له مصادر يعتمد عليها وهذه المصادر تتمثل في الكشف، ويدخل تحته أنواعا من هذا الكشف:

١- رؤية النبي ﷺ: ويقصدون به الأخذ عنه يقظةً أو مناماً، حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد[١].

٢- الخضر عليه السلام: قد كثرت الحكايات عن الاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه[٢].

٣- الإلهام: هو ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة[٣].

٤- الفراسة: التي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها[٤].

٥- العروج: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار[٥].

٦- الرؤى والمنامات: وهي من أكثر المصادر اعتماداً عليها حيث إنهم يتلقَّون فيها عن الله تعالى، أو عن النبيّ ﷺ، أو عن أحد شيوخهم لمعرفة الأحكام الشرعية، وغير ذلك من المصادر[٦].

المطلب السادس الإيجابيات:

كان لهذا المنهج دور في إدارة شئون الدّولة في العهد العثماني، وهو ما ترجم انصهارهم العميق في المجتمع بجميع مستوياته، سواء الدّيني، أو السّياسي أو الشّعبوي، إذ لم يكن التصوّف دخيلا على الحياة العامّة، بل يعد النّواة الأساسية الّتي نسج حولها المجتمع انتماءه وقيمه وهويته، وهو ما فسّر التفاف السّلاطين بالطّرق الصّوفية والتّكايا، وقربهم من شيوخها، فضلا عن اشتراكهم مع الجيش العثماني في فتوحاته، وحملوا على عاتقهم مهمة تبليغ الدّعوة الإسلامية إلى مختلف الأصقاع، من أجل رفع راية الإسلام وتثبيت دعائم العقيدة[٧].

المطلب السابع المؤاخذات على منهج الذوق والمكاشفة:

---

[١] () ينظر: المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار الكتب الحديثة، مصر، دون طبعة، (ص١٧٨).

[٢] () ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، (١٥/ ١٣٥).

[٣] () ينظر: التعريفات، (ص٣٤).

[٤] () ينظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) تحقيق: عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة، (٢/ ٣٨٦).

[٥] () ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (١/ ٢٦١).

[٦] () ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (١/ ٢٦١).

[٧] () ينظر: مقال: التصوّف في مرآة معاصِرة، ليلى قراوزان، ومحمد زمري، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، قسم الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان– الجزائر، سنة ٢٠١٣م، (٣/٢٧).

لمنهج الذوق والمكاشفة بعض المؤاخذات التي ظهرت في الساحة الاسلامية تحتاج إلى الوقوف عليها، لتنقيتها وردها إلى المعين الصافي، ولعل أبرز هذه المؤاخذات هي:

١- تمازج هذا المنهج بين الفلسفة وعلم الكلام الذي كان له أثر في خروج المنهج عن مساره الأصلي، فغلبتِ الفلسفة وتكوَّنت فلسفة خاصة قد لا تتفق مع مبادئ الشريعة، بل إنّ كثيراً من الآيات القرآنية فُسّرت على نظرياتٍ فلسفية[١].

٢- فقدان الميزان الصناعي المعتبر لعلومهم ومعارفهم الحاصلة بالسلوك العملي مما يمنع التعويل عليها والاطمئنان والركون اليها ويسلبها الاعتبار العلمي إلا ما طابق منها العقل الصحيح أو النقل الصريح؛ فدرجات الكمالات النفسية تختلف من حال إلى حال ومن ناظر إلى ناظر آخر[٢].

٣- دخول رجال من غير أهله في هذا المنهج، تظاهروا بالورع والطاعة، وتحلَّوا بالزهد الكاذب والتقشف المصطنع، فوقفت التعاليم عند دائرة محدودة، هي دائرة الأوراد والأذكار، وإن تعدتها فلا أكثر من بعض الأبحاث الضيقة في الفقه والتفسير والحديث[٣].

٤- استعمال المصطلحات الخاصة التي تناولها هذا المنهج حتى تكاد تعزله تفكيرا وتأصيلا عن المسلمين، فلا يدخل في فهم هذه المصطلحات إلا ثلة من الناس في دائرة مخصوصة: كالغوث والقطب والابدال ومعاني الحلول والاتحاد والفناء والوصول الى اليقين ورفع التكاليف والاعتقاد بالشيوخ ووصفهم بأوصاف مبالغة كالإلهام وعلم الغيب والمبالغة في تقديس الشيوخ والأولياء، والتأويل الباطني وتقديم الولي على النبيّ في بعض الصور كتقديم الخضر عليه السلام (عالم الحقيقة) على موسى عليه السلام (عالم الشريعة) وغير ذلك، مما تمنع شموليتها لبقية المسلمين وحصرها في طائفة مخصوصة.

٥- التوظيف السياسي لبعض الحركات الصوفية واستغلالها للميل عن المقاصد الشرعية، فبعض الفرق الصّوفية بدعوتها الظّاهرية إلى الانصراف عن الدنيا، أَضْفَوْا الصّبغة الدّينية على موقف الخضوع للمحتلّ الأجنبي، بخلفيّات قَدَرِيَّة استسلاميّة، من ذلك قتال عبد الحميد بن باديس متصوفة عصره في الجزائر الذين كان يصفهم بأنّ لهم يد في تمكين الفرنسيين في الشمال الأفريقي وذلك عام ١٩١١م[٤].

٦- المبالغة في الاعتقادات التي جعلت من المسلمين عرضة للفتن، كطريقة دار الارقم الماليزية التي ادّعى مؤسسها أنّه لقي النبيّ وأعطاه أورادًا، فادّعى بعض الخوارق، كتأجيل آجال

---

[١] () ينظر: التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، دون طبعة، (٢/ ٢٥١).

[٢] () ينظر: مناهج التفكير، (ص٩٢).

[٣] () ينظر: التفسير والمفسرون، (٢/ ٢٥١).

[٤] () ينظر: منهج التراث الاسلامي بين تأصيل العالمين وانتحال المبطلين، د. أبو جميل الحسن العلمي دار الكلمة للنشر والتوزيع – مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢م، (ص٢٩٦).

العباد في الموت وأنّه المهدي المنتظر، ومثل الطريقة الختمية في السّودان التي ادّعى مؤسسها أنّه خاتم الأولياء.

٧- كثرة الطرق الصوفية في العالم الاسلامي والتي وصلت إلى أكثر من ثلاثين طريقة قد يصل بينها الى اختلافات في مصدر التشريع ومنها القريب من المعين الشرعي الصافي ومنها ما هو البعيد.

والخلاصة في هذه المظاهر هي أمور تحسب على منهج الذوق والمكاشفة ولكن قد لا تنتمي إليه؛ فالاعتقاد بسلبية الأداء ودوره في صنع النّهضة ناشئ من عدم فهم جوهره والإخفاق في تطبيق مبادئه[1].

المطلب الثامن كيف يستطيع هذا المنهج أن يمثل الإسلام؟

القول بأن ممثل الإسلام هو القرآن والحديث النبوي يضعنا أمام صعوبات عظيمة؛ فافتراق المسلمين إلى مئات الفرق قام أساسًا على تفسيرات مختلفة للقرآن والحديث المنسوب للرسول.كل مسلم وكيان إسلامي يمثل جانبا أو جزءا من الإسلام؛ بمعنى أن لا فرقة، ولا جماعة، ولا كيان إسلامي يمثل الإسلام بكامله، بل كلهم معا يمثلون الإسلام.ومنهج الذوق والمكاشفة بصوَرِهِ التي قُدِّمت - بغض النظر عن الملابسات الخارجية التي تثار حوله - يقتصر على جانب واحد من الجوانب الحضارية التي لا يستغنى عنها، ولكنها تحتاج إلى جوانب أخرى متعددة أكثر شمولية وتكاملية في المنهج لقيادة العالم الاسلامي من خلال عدم الحصر بمنهج الذوق والمكاشفة التي تعتمد على امكانية كلّ فرد فيها وهو يتفاوت من حيث التحصيل والاكتساب بين الناس، ولكن ينبغي تعديل السؤال بطريقة أخرى، **ويُقال:**

من يمثل الرؤية الأوسع للإسلام؟

فهذا العنوان أدق وأشمل؛ فكلُّ منهج قد نظر إلى جانب من جوانب الإسلام، ولكنّ منها ما هو نظرته وتصوراته الشرعية ضيقة، ومنها ما هو نظرته وتصوراته أوسع من غيره.

المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة.

٢- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣- التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، دون طبعة.

[1] () ينظر: مقال: التصوّف في مرآة معاصِرة.

٤- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة.

٥- الفتح الربّاني والفيض الرحماني، عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية بيروت، دون طبعة.

٦- الفتوحات المكية، محيي الدين ابن عربي (المتوفى: ٥٧٨هـ)، تحقيق: د. عثمان يحيى، دار الكتب العلمية – لبنان، ٢٠٠٦م.

٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٨- مناهج التفكير، فلاح العابدي، وسعد البخاتي، أكاديمية الحكمة العقلية، الطبعة: الأولى، قم، ٢٠١١م.

٩- المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار الكتب الحديثة، مصر، دون طبعة.

١٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١١- منهج التراث الاسلامي بين تأصيل العالمين وانتحال المبطلين، د. أبو جميل الحسن العلمي دار الكلمة للنشر والتوزيع- مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢م.

١٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

المقالات:

* التصوّف في مرآة معاصِرة، ليلى قراوزان، ومحمد زمري، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، قسم الأدب العربي، تلمسان- الجزائر، سنة ٢٠١٣م.